

لا يوجد في العالم سوى جميلتين: أنتِ وأخرى تشبهك، رسائل تزداد رونقاً كل يوم لجزالتها العاطفية، كان يخشى أن يصاب بحبٍّ أعجمي لكثرة من حوله من الفتيات ذوات البشرة الملائكية، كل أحلامه سخرت من نفسها حيال الواقع الذي شهده، حتى الأحلام بدت وكأنها متكبرة تحت ظلال جرح الكبرياء!!

إنها من عائلة غنيّة جداً تسكن في مدينة الخبر الساحلية، هذه المدينة التي هي مجمع الفقراء والصالحين والمتواضعين والسارقين والمتكبرين ولا ينبئك مثل خبير، بالطبع؛ فمدينة الخبر لا تخضع لـ "كما تكونون يولّ عليكم"؛ لوجود المتناقضات بها، إنها فتاة لها من العمر 23 عاماً قضت رُبُعها في أوروبا وبقية عمرها كان هالة من الأفراح تقدر بمئات أعمار البؤساء.

جواهر، لها بياض كالندف بحمرة الورد، من رآها ظلّنها لؤلؤة مكنونة في بحر الخليج، كانت تكبرها فتاة لها جمال خلّاق يحفل بأحلام الأمراء عبيدو المال، والدها توفي وعمرها لا يعدو خمس سنين، بدأت مرحلتها الدراسية في مدارس الحصان الأهلية، وأتمت فيها المرحلة التمهيديّة والابتدائية والمتوسطة وأخيراً الثانوية، وذلك بالمقياس السعودي للتعليم، أما بالنسبة للمقياس الفنلندي للتعليم فإنها أتمت المرح في حضانة للأطفال بتقدير جيد !!

أختها مثقفة جداً، بل وكاتبة بارعة، تتصفح يومياً موقع الساخر وجسد الثقافة وشبكة المعالي بكل رشد وحيوية، تتابع بشغف ما تكتبه إيمان القويّلي ونجيب الزامل والسيد ولد أباه عبر جريدة الاتحاد الإماراتية، كل ما فيها ينبئ عن فكر متقدّ ونظرة عميقة للأحداث، كان لها مجلس ثقافي في بيتهم تتجاذب مع صديقاتها المواضيع المستجدة باستلهم عظيم للتاريخ وفحواه، كان يشار لها بالبنان عند الخاصة لتمييزها في الثقافة ولطيب أخلاقها وجمالها كذلك، نسيت أن أخبركم بأن اسمها نور.

بالطبع تخرجت جواهر بنسبة 98% من الثانوية العامة (الخاصة)، وبدأ تفكير العائلة بمن فيهم عمّها الوحيد في إكساب أي جامعة شرف قبولها، إنه الهمّ الذي يسيطر على معظم العائلات السعودية بمن فيهم العائلة المالكة، كانت أولى أفكار عمّها بأن تقدّم أوراقها في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن؛ ولأن عمّها قضى ثلثي عمره في أوروبا إحصاءاً لثروة أخيه (والدها) ومتابعة ما بدأه من تجارة؛ فكان لا يعلم ببعض المعلومات عن مدينته، وكانت المفاجأة الكبرى عندما ذهب لمدير قسم التسجيل والقبول في جامعة البترول ليستفسر عن الإجراءات؛ فإذا المفاجأة تكتمل حلقتها العضوية بأن الجامعة مخصصة للبنين!!

ماذا؟! للبنين فقط!! وماذا عن نصف المجتمع وأخوات البنين!! لم يصدق عمها سعود ما سمعه فنزل إلى الدور السفلي، حيث تجرى حملة للتبرع بالدم، تظاهر على الممرض بأنه أحد دكاترة الجامعة وزوده ببطاقة أحواله، ثم مدّ خيال قلمه (يده) وسحبوا من دمه ما يقارب 500 مل، وطلب من الممرض المتدرب أن يعطيه 50 مل لأنّه يريده، تعجب الممرض وتحت تأثير سحر الإقناع استجاب لطلبه، توجّه مباشرة إلى مكتب مدير الجامعة وأخذ الورقة الرسمية للمخاطبة، وكتب رسالة حبرها من دمه إلى معالي مدير الجامعة:

"إلى معالي مدير جامعة البترول د. خالد ..

السلام عليكم..

ما أعرف أكتب زين بالعربي، ولأني أكتب من دمي، فأنا متضايق جداً؛ لأن الجامعة بس للأولاد، طيب وليش البنات ما يكون لهن نصيب في الجامعة هذي؟ وإلا فلوسكم ما تكفي علشان تفتحون للبنات قسم خاص فيهن، أنت الحين دارس بأمريكا ومثقف، ولا تطالب بهالشي، الله يسامحكم ياللي انصرفت عليكم فلوس الدولة وما رجعتوا تنصحنونها كثر ما تأخذون منها.

شاكر لكم حسن تعاملكم وتوفيركم خطاب رسمي للكتابة عليه، بس يا ليت تخلّون الورق أثقل علشان لا يخزّ دم الناس منه ولا تقدرون تقرون رسالهم.

سعود ...

055588".

هذه الرسالة تُثقل بحرفها؛ لأن القضية أضحت مطالبة عننية للعلمانية التي تأخذ معنى معاداة السامية بالنسبة للهيلمان الإسرائيلي المنبوذ، ربما تتضح المعالم أكثر في قصص قادمة !!

جواهر أخبرتني بكل شيء لا تعلمه، بل أضافت صمتاً بما تعلمه، ظهرت مسيرة أعلام عجيبة في قصة جواهر ينبغي لكل مخيال أن يبحر في فضائها؛ لأن كلية البنات في الدمام تعتبر قدحاً بإحدى بنات الخبر أن تدرس فيها، وهذا هو السبب الرئيس لنجاح جامعات المملكة البحرينية المتحدة الشعبية الديمقراطية وتأسيس جامعة الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز حفظهم الله جميعاً ورحمهم، قرّرت جواهر أن تواصل تعليمها في كلية البحرين الجامعية على أن تذهب يوماً إلى هناك، تتحمّل متاعب السفر جميعها من جوازات وتحرش بعض رجال الجوازات بها وغير ذلك.

كطبيعة المسؤولين لم يرد د. خالد على الرسالة لكنه استغرب فعلا من فكرة حبر الدم، د. خالد إنسان عظيم جدا ولا توجد لديه تصرفات غير مسؤولة ككثير من المسؤولين المحليين، اتصل د. خالد بسعود وتوسل له بأن يلتقيه، سعود

تعجّب في قرارة نفسه من اتصال مدير الجامعة به وأسّر إلى نفسه بالتكبر، تظاهر سعود بأن السفر له موعد معه إلا أنه آثر أن يجلس من أجل مصلحة وطنية محضة !!

ذات يوم أعدت نور محفلاً ثقافياً عظيماً في بيتها، استضافت فيه أدبيات كثر ليتناقشن عن كتابها الجديد "رؤية ذاوية"، جمعت نور فيه إرهابات لأيام القهر المعنوي التي تواجهها المجتمعات العربية، وخصوصاً في المملكة العربية السعودية، حيث ظهرت على صفحة جريدة اليوم في اليوم التالي عن جلسة ثقافية عُقدت بمناسبة مناقشة كتاب ستبرزه الساحة الثقافية لعطشها له، لا أحد يعلم كيف مرّت من مقص الرقيب أو المكبح الصحفي، وأبجديات خطاب الكتاب تفيد بوجود حلم لأن تصبح إحداهن ملكة للبلاد، تأتي قصة حلمها بأنها اكتسبت كثيراً من مهمات الخطاب السياسي الدولي وموثيقه وأسس تقدم الغرب والشرق، كانت تتحدّث عن فتاة شبه سعودية نالت العلم من جامعة السوريين في فرنسا، وسارت في أروقة الجامعة متقلّبة في مدارس فكرية عديدة من داخل الحرم الجامعي وخارجه، كما كان يحصل تماماً في الجامعة الأمريكية ببلبنان، حصلت على درجة الماجستير من هناك وواصلت دراستها العليا من فرعون العصر أمريكا، واصلت أبحاثها عن الحداثة والعولمة والخطابات الدينية والاجتماعية، إلى أن أتت أهم ساعة في حياتها وهي التعرف عن كُتب عن المجتمع الصيني، أصرت على تعلم الصينية حتى أتقنتها تحدثاً وكتابة وفهماً، كانت تصرّ نور على إضافة الفهم لأنه مفقود غالباً عند كثير من أساتذة الجامعات وبعض الوزراء ورجال الدين، كتاب نور يتحدث بهدوء عن الهدوء تجاه معضلات كبرى، تثير فيه قضايا مصيرية ستصيب المجتمع السعودي إذا لم يكافح بشدة بعض التصرفات غير المسؤولة التي تظهر من مسؤولين كبار، جمعت الكاتبة أساليب للنهضة من رؤية مدنية أصيلة لا تتعارض مع جوهر الإسلام، فلإنكار في السعودية يأتي عادة من طريقين لا ثاني لهما: الأول من الدولة الدينية، والثاني من المؤسسة الدينية التي تتبنّاها الدولة، المضحك أن بعض الليبراليين قد يدفع لهم شيء، أما الإسلاميون فإن أغلبهم يرفضون ذلك بتاتا ويقدمونه مجاناً من دوافع إخلاصية!!

فعلاً بدأت جواهر التجهيز لبداية حياتها التعليمية هناك، باذلة جهداً كله لتحظى بتعليم يليق بعظمة حقيبتها التي تحملها بذراعها الوضاء بخيال العاشقين إلا أنها تفاجأت بأن الكلية ليست مدرجة في الترتيب العالمي للجامعات، فضلاً عن أي شيء آخر؛ وذلك لسوء جودة التعليم.

بحال الطبيعة، اجتمع د. خالد مع سعود في مكتب معاليه، أفضى سعود بكل ما يعلمه من تقدّم في حياة الغرب ومبدأه الذاتي للتطور، تحدث سعود بشفافية عمياء عن اضطهاد المرأة السعودية بشكل عام وفي المرافق العامة من وزارات ومكاتب العقار (المحاكم)، أنصت د. خالد بتفاعل رائع وكأنه هو المتحدث، حتى انتهى سعود إلى سد ينبغي لكل مواطن سعودي أن يقف عنده .. وهو الحديث عن السياسة الداخلية والإصلاح، وأما له د. خالد بأن الحديث في مثل هذه الأمور لا يولّد سوى النكبات.

شعرت جواهر بأنها بيدق شطرنج حائر تعبت به التحديات، تحدثت مع عمّها بشأن أن تسافر إلى أمريكا لمواصلة دراستها، كانت هذه الفكرة استوائية بالنسبة لعمّها سعود من حيث دفع الأعراف وغيث المعرفة، أخبرته جواهر بأن العديد من صديقاتها ذهبن عن طريق بعثة خادم الحرمين الشريفين، إلا أن الأمر قد يحتاج إلى قليل واسطة التي يقصدها عليّة القوم قبل العامة لسبب بسيط وهو المباهاة، لا أعلم كيف يغيب عن ناظري هؤلاء المتسولين بأن الأغنياء جميعهم يودّون الانتساب إلى الفقر ولو بمقابل تزوير عقد عمل كادح، إن هذا النوع يعتبر من شهوة الفخر الذي يشكل تحدياً كبيراً للقيم والمبادئ، خصوصاً أنه يأتي من رعايا يطلق عليهم عليّة القوم، أجاب سعود ابنة أخيه جواهر بأن الأمر بسيط جداً؛ فالمعارف كثر.

د. خالد يعلم الكثير عن المشاكل البيروقراطية التي تشكل عائقاً رئيسياً للبلد، لكنه يأخذ بمبدأ التحدي من أجل النهضة، فمثلاً هل يعقل بأن د. غازي القصيبي (شفاه الله وعافاه) لا يعلم عن مشاكل المواطن وهو الأربعة وزراء والسفيرين والأديب والشاعر، إنه يتخذ نفس المبدأ المذكور آنفاً، إنّ عالمنا الوطني كما يقول أرسطو هو تراجيديا لمن يشعر ويحسّ، وكوميديا لمن يتأمل ويفكر، عموماً رحّب د.خالد بأفكار سعود وتعهّد بأن يحاول لمعالجة القضية لكن قبل أن تنتهي فترة رئاسته للجامعة بفترة وجيزة.

فعلاً ذهب سعود إلى مدينة الرياض التي تشعّ منها القرارات الحكومية، حيث تستطيع تشبيهها بكل دقة بمبنى برج المملكة؛ فالبياض في اللوحة الفنيّة له أثر عميق في التناغم، كذلك هو برج المملكة في انصهار عاليه، إن الفتحة العلوية لها معنى عميق جداً وهو: للمواطن حق الاستفسار والمطالبة والحرية إلى دور معيّن، ثم فجأة تنقطع كل الحقوق وتسبح في فضاء فسيح إلى أن تصل إلى الملك الذي يرمز له الجسر العلوي في المبنى، ذلك بأن الملك مطلع على كل شيء.

غنى سعود وعراقة عائلته وعودها وبخورها يضفي للمسؤولين رغبة في خدمته، وكل بحسب نيّته والله والملك أعلم بالنيّات، ذهب سعود إلى أحد زملائه الذي أوصاه بأن يذهب إلى رجل آخر وغيره، مع ملاحظة أن الجميع هم من خدعة القوم وعليّتهم، بكل بساطة وسهولة أصدر خطاب بقبول جواهر في بعثات خادم الحرمين الشريفين بعد أيام قليلة.

خرجت جميع السموم من جسد جواهر الطاهر وذلك من دموع الفرح العفوي الأنثوي، كانت الوجهة إلى مدينة لوس أنجلوس الأمريكية وذلك بعد شهرين من حينه، شهران عليها أن تُنهي جميع التزاماتها وحضور حفلات الوداع وتفصيل حجاب يجمع بين الأصالة والمعاصرة، هذه الفئة من الناس لا تحتاج إلى شراء مزيد من الملابس لأنهم دائماً في سفر، السكن لم يكن عائقاً كبيراً؛ فعمّها لديه أصدقاء كثر في مدينة لوس أنجلوس، وعلى هذا الأساس أصلاً تم قبولها هناك، لم يرد في ذهنها انتظار تذكرة السفر المجانيّة من الملحقيّة؛ لذا بادرت بشراء تذكرة سفر في

الدرجة الأولى على الخطوط البريطانية على أن تقضي خمسة أيام في مدينة لندن (هذه أقل فترة ترانزيت للطبقة المخملية) ثم تواصل سفرها إلى لوس أنجلوس.

كان جميع أفراد العائلة بالمعنى الواسع يتناوبون الحزن على فراق فتاتهم المدللة والطيبة جواهر، لم يظنوا أبداً أن هناك مستقبلاً مشرقاً علمياً وعاطفياً ينتظرها في مهجرها ومحجرها، كانت تتورد خجلاً كلما حدثتها أختها نور عن الحب، كانت نور تحكي لها عن الحب بطريقة احتفالية وأدبية جداً لدرجة أن قالت لها ذات يوم "لزومية الحب تتحررنا من وهن السقوف".. "ما أجملك أيها الحب، تصفرّ قسماتك حتى تبيضّ عيناك من أجل طرف عبور"، هي الأمسيات تجري نفسها كل يوم بمشاعر مختلفة انتظاراً ليوم الوداع، كانت جواهر ترفقه عن نفسها بالخروج مع وصيفاتها لمجمع الراشد أو شاطئ الغروب، لتهرب من التفكير في المستقبل.

مرت الأيام سريعة جداً حتى أتت ساعة الوداع، تلك الساعة التي ودّعت فيها جواهر حياة اللا حب، ودّعت جواهر زمن الدعة وحرية الأحلام، ودّعت جواهر أموراً كثيرة كان لها تحكم فيها، سوف تبدأ رحلة الألف ميل بخطوة واحدة بمئات الأنواع من الأحذية، ودّعت والدتها وأخواتها ببقاء إلى الآن تذكره، فالوداع غالباً لا ينسى إلى أن يأتي وداع أعظم منه، غادرت المنزل متجهة إلى دولة البحرين لتتطلق إلى محمية لندن، المضحك في الأمر أنها قالت دعاء السفر الذي يتضمن: "اللهم إنا نعوذ بك من وعاء السفر وكآبة المنظر.."، ومكانها يحتل الدرجة الأولى في الطائرة.

عندما يصل الإنسان إلى لندن يجتاحه شعور متناقض، أحد طرفيه الاستعلاء، والطرف الآخر الاضطهاد، يسمونها مدينة الضباب وهي برأيي وجهة الحيارى، إنها مدينة يُحترم فيها القادم لدرجة تصويره أينما ذهب، تجوّلت جواهر قليلاً .. لا شيء جديداً سوى تغير مندوبي المبيعات وقلة الفقراء في الشوارع، نعم .. فلقد مات معظمهم وبذلك نجحت الدولة في مكافحة الفقر.

أيام قليلة قضتها جواهر في لندن إلى أن انطلقت إلى لوس أنجلوس، كانت تحكي لمن حولها قصة حدثت لها بالطائرة، حيث جلس بجانبها رجل دين سعودي يفوح عطر صلاحه من بعيد، كل الملامح تظهر على متن الطائرة بعد قراءة الجريدة، حيث يصفو العقل وتذهب رهبة الإقلاع رويداً رويداً، ولأن جواهر فتاة سعودية فلا يحق لها بداية الحديث مع رجل أجنبي (أجنبي تعني له نفس جنسيتها، لكن لاعتبارات أخرى سمّي أجنبياً)، إلا أن نمط حياتها المختلف قليلاً عن مجتمعهما يتيح لها أشياء خاصة.

الرحلات الطويلة التي تقلع ظهراً تحتم على المتجاورين الحديث عن أي شيء، تذكرت جواهر أنها حلفت ذات يوم كذباً فأرادت أن تسأل عن الكفارة؛ فوجدت أن الفرصة قد هلت

بأدبته جواهر: السلام عليكم

الشيخ: وعليكم السلام

جواهر: ممكن تسمح لي بسؤال؟

الشيخ نظر لها شزراً وقال: نعم.. هاتِ ما عندك..

قالت: أنا حلفت يوماً من الأيام وكنت كاذبة.. كيف أكفر عن ذنبي؟

حدّث الشيخ نفسه بأن التبرج الذي يراه وعدم وجود المحرم والعطر الذي ملأ الأفق شذاه يستحق أن يأخذه كمدخل لنصحها.. ممكن أنصحك يا أمة الله؟

جواهر: تفضل.. أكيد أنا سألتك لكي أعرف الإجابة

الشيخ: لا ينبغي لك أن تسافري بلا محرم، وأن تتعطري وتفتني الرجال بتبرجك هذا.. اتقي الله . عز وجل و الزمي هدي نبيه صلى الله عليه وسلم ونهج السلف الصالح؛ فبذلك يرضى الله عنك.

جواهر: أهذه كفارة الحلف؟! كنت أظنها أقل من ذاك بكثير.

علم الشيخ بحدسه أنها بدأت تستهزئ فأعمى بصره، وأغلق جميع طرق الاتصال لنلا يفتن. وقالت جواهر لنفسها: هل كان الرسول - عليه صلوات الله وسلامه - والسلف الصالح يُسألون عن شيء ويجيبون عن شيء آخر؟

اقتنعت جواهر بأن الذي بجانبها لا يصلح الحديث معه لرداءة تعامله وجفوته .. وكأن الهواء المعرفي يقول: لم يكون بعض الدعاة طيبي الأخلاق على المنابر وسيئي التعامل في الطرقات؟ إنهم يحفظون الآيات والأحاديث وغيرها، إلا أن الإنسان يفاجأ بإعاقاتهم الفكرية، ولأنهم لا يقتنعون بأقوال سارتر أو ديكايرت أو أي كافر فإن أحد السلف يقول: نزل هذا القرآن ليعملوا به فاتخذوا تلاوته عملاً.

نامت جواهر بقية الرحلة إلى أن وصلت إلى الأرض الذهبية لوس أنجلوس، هدى الله أساتذة اللسانيات في الوطن العربي، حيث إنهم لم يتفقوا على كيفية كتابة بعض الحروف الإنج/ ك ليزية.. رأيتم كيف كانت المشكلة، ج أم ك في طريقة كتابة حرف G، عموماً لا مشاحة في الاصطلاح كما يقول الأصوليون، استقبلتها سيارة فارهة وسائق كما يقال في وطنها، إلا أن الأمر في أمريكا يقال بطريقة أخرى، وهي استقبلها سائق مركبة فارهة، ففي أمريكا تعظم قيمة الإنسان، وأسمى الظواهر هي إعطاؤه حرية التعبير.

ذهب السائق بجواهر إلى السكن المعد لها سلفاً، وهي عبارة عن شقة في الدور الثاني من إحدى العمارات الجديدة والرائعة في تصميمها، عمّا سعود هياً لها ما يليق بمكانتها وبمالها وبدراستها كذلك، الشقة عبارة عن غرفة نوم

وردية وصالة خضراء وطنية ومطلّ على المدينة تقرّ به عين الإنسان.. فكيف بالفتاة؟! انتهى زمن الوطن؛ فالإنسان هو الإنسان والفتاة هي جزء من ذلك الكيان المعنوي وليست منشقة عنه، في الوطن.. المرأة لا يوثق بها.. المرأة هي وجه الشيطان على الأرض.. المرأة خلقت لخدمة الرجل.. المرأة الناجحة هي التي تمكث في بيتها وتقرأ سورة البقرة.. في دولة مجاورة مشكوك في صحة تصويتها في المجالس البرلمانية.. المرأة لها أن تصرخ فقط ليهب الرجال إلى نصرتها.. وهذه مزية يمتاز بها الوطن، إلا أن العجب من أن جميع الطرق الدينية التربوية المتبعة تدعو المرأة إلى الصمت؛ لذا فالمزجة تتأرجح أحياناً.

في هدوء الغربة، لا يجد الإنسان متنفساً سوى أن يتصفح جرائد وطنه، كانت جواهر تحب الوطن، أو بالأخص تقرّ فقط لـ.. محمد الرطيان، هذا العود الذي يخربش من مدينة رفحاء على رؤوس المسؤولين دون اعتبار للبلدية أو للأمانة -كما يقولون - لدرجة أنه يكتب عن مشكلة في الوطن وغاب عنه أن الجرائد لم توجد لهذا الهدف وبالتحديد جريدة الوطن السعودية.

وصلت جواهر إلى المعهد الخاص بتعليمها لتبدأ مرحلة جديدة في العمر، استقبلتها أجواء مغتربة من كل فجّ عميق، كثيرون تنفسوا هذا الهواء فأثروا فيه بالضبط كما فعل الإسبان بجلبهم لأنواع الأمراض لأرض أمريكا، هنا الهواء مفعم بالدهشة.. بالحرية.. بالمدنية.. بكل شيء لا يستفيد منه المغترب، خصوصاً القادم من أرض بترولية خليجية.

الشيء الوحيد بكثرة هو العدل المنتشر في البلاد، تجوّلت جواهر في المعهد وأعجبها تنظيمه وروعة الاستقبال وأشياء أخرى، اختبروها لتحديد مستواها فوجدوا أنها ممتازة جداً في اللغة، لكنها تحتاج إلى قليل من التطوير في الكتابات الأكاديمية، الذي قد يأخذ مقدار ثلاثة أشهر، غادرت جواهر لأنها كانت متعبة قليلاً لتأتي في الغد لتشهد مناسك لها.

في الصباح دخلت جواهر إلى الفصل؛ وإذ بالمفاجأة الكبرى التي تخشاها بعض السعوديات ويتمناها غيرهنّ، وهو وجود الطالب السعودي، لم يكن بالطبع لدى جواهر أي تحفّظ لكنها ذهلت جداً من رؤية أحدهم، الإعجاب الذي يأتي فجأة يكون صداه مدوّياً في النفس، لا يوجد أي سبب منطقي فاقد العثرات يجعلها تذهل كما بدا عليها، جلست بهدوء لنلا تصيب الذهول الذي دخلها بكدمة، ثوانٍ مرّت عليها على هيئة لوحة فنية طويلة تحكي قصة حب طويلة جداً انتهت لتبدأ من جديد، الألوان في مرحلة الحب هي الأحلام وحدها، بالطبع هي لم تدخل دين الحب بعد، لكن بشریات نوفلية تفيد بأن الأفق المشاعري سيتسع وينير.

أتعلمون من هم الجيولوجيون؟ إنهم بكل بساطة حمقى الطبيعة.

أتعلمون من هم الفيزيائيون؟ إنهم بكل صعوبة فوضى الطبيعة.

أتعلمون من هم السعداء فعلاً؟ إنهم بكل شجاعة الجبليّون.

الجيولوجيون ليسوا حمقى، بل هم علماء، وأحترم قدرهم، كذلك هو شأن الفيزيائيين، إلا أنني أستغرب من عكوف بعضهم سنين من أجل انتظار ثوران بركان ليعلموا ما تخبئه الأرض من جواهر، كم أحب منهم من يعمل من أجل إنذار الناس لكنهم قليل.. قليلون جداً.. كانهدام الطبيب الذي يصرّ على مواصلة الإنقاذ مهما شعر بأن المريض أمامه سوف يموت، كانت تصرّ كاتبة "رؤية زاوية" على أستاذ لها في قسم الإنسانيات بالأب يطلق كلمة الإنسان جزافاً لأي عابر سبيل؛ فالإنسانية غدت مفقودة عند البعض انتهاءً، كيف لا وإحدى الدول الافتراضية صارت تسيطر على سياسات دول واقعية، لا شيء غداً يملأ الإنسان فالأ.. سوى شيء واحد، ولنلا أكون ظالماً فإنهم أمران.. ولأكون منصفاً أكثر.. إنه لا شيء سوى الحب.

سألت المدرسة جواهر بأن تتحدث عن مدينتها، فانطلقت جواهر بمنطق سليم وعقل مستدير تتحدث عن الخبر الساحلية، الخبر لا تستطيع مقارنتها بدبي لأن الاستثمارات بها محدودة جداً، ولا تستطيع مقارنتها بالبحرين؛ لأن المشروعات غير الروحية محرمة بها جداً في العلن، كذلك ليس من منطق القول بأنك تستطيع مقارنتها بالكويت؛ لأن ليس فيها أي برج سوى شيء يشيد هذه الأيام يُقال في المجالس إنه برج لوزارة الصرف الصحي، لكن الحق يُقال.. إن الخبر تفوح شذا بطيبة أهلها وحبابتهم، لولا عبث بعض أهل العواصم بها!!

واصلت جواهر حديثها عن الخبر وهي في الحقيقة تكتشف نفسها بمعلومات دفيئة تتضح معالمها عندما تقال، تغشى الإنسان ساعات يتحدث بها عن نفسه ليقنع بشيء ما فقد في السابق، أو أنه على مشارف النسيان.

يزيد.. جالس مستمتع بما يسمعه من جواهر، إنها تحكي عن الوطن.. وهل للأوطان عوض إذا فُقدت؟!

فجأة سألت المدرسة يزيد عن صحة كلام جواهر لكن بطريقة مهذبة، أجابها بكلمات لم ينظمها قبل في أي عقد حديث، بل انطلق لسانه عفويّاً بها، أجاب يزيد: "ما كان لهذه الشخصية أن تتحدّث بشيء غير صحيح"، انطلقت من حينها ألعاب نارية وضّاءة في سماء جواهر.. أضاءت للمعزين في قبورهم دروب الجنة، لم تتخيل جواهر لحظة واحدة أنه يوجد إنسان على أرض المعمورتين (الأرض والقمر) من يمدحها بما سمعت وبصورة عفوية وبطيب نية، تهلّل وجهها حتى شعر الجميع بأن يزيد يخطب حب جواهر، انتبه يزيد لذلك فأردف: "إنني لا أقصد شيئاً سوى أنها صديقة"، ابتسمت المدرسة وهمست لها: "إنه أحبك من النظرة الأولى".

لماذا يغيب على بنات المجتمع أن الحب ليس مجرد كلمة تقال أو هدية يكتب عليها، هذه كلها ظواهر يقترفها الجميع بلا استثناء حتى بين حكام الدول المتخاصمة، ألا يرى كيف أنهم يدخلون حرباً فيموت الملايين؟! وهذه أجمل هدية لدى الحكام الظلمة بأن يساهموا في تقليل الشعب، عندما تحين ساعة التعداد السكاني يُخبث بعض الحكام لريهم بأن تكون نسبة المسنين عالية لتندثر أحلام بالملك، ثم في الليلة الأخرى يأتيهم كابوس تكلفة المستشفيات

التي لا بد أن تستوعبهم.. مُضحك هذا الصنف من الحكام لأنهم بين نارين: التعليم والصحة، أحدهما للناشئة والآخر للمسنيين.

جواهر لم تكن أبهه بأي تحرّك سياسي أو اقتصادي.. أو أي شيء سوى الاستقرار، عادت وكأنها تطير من الفرحة مما سمعته من ذلك الفتى الوسيم ذي الأخلاق العالية والثقافة المطّردة، قد يُتَعَجَّب من تفكيرها؛ فهذا ديدن المحبين غالباً.. يخطّطون ويلونون ويعيشون في العالم الخيالي لأنها تكسبهم دفناً مشاعرياً وحياة رائعة بحق.

قضت جواهر ليلتها تبحث عن قصص حب سعودية، لم تجد الكثير؛ لأن السعوديين غالباً ما يحبّون بتخفّ داخل حدود الوطن وبعنجهية وتملّك في الخارج، يبقى مذموماً ما حيا ذلك الشخص الذي يشيع قصة حبه للجميع إلى أن يعلن توبته ويصبح عضواً في الشرطة الدينية أو مؤذناً أو داعية، وسعت نطاق بحثها للخليج فوجدت قليلاً وكلّما اتسع نطاق البحث كانت النتائج تزداد، غاب عنها أن زيادة المساحة توجب تغييراً في النتائج وليس لسبب آخر.. كتبت تبحث عن أشعار حب فوجدت شاعراً يُقال له نزار قباني يكتب في منتديات مختلفة بنفس العنوان.. لكن بعض الأبيات تختفي لكون إسلامية بعضها مما يحتم على المشرفين عمل شيء من الماكياج، بعد التأكد من خلوّ الكاميرات وغيرها من أسباب الفتنة.

بكل تعقيد ذهلت بفتى اسمه يزيد، وبالرجوع إلى الأرشيف الكوكبي نستفيد الآتي:

يزيد، شاب يافع تطير من أغصان عوده أطيّار الأخلاق والنبيل، وتسكن عائلته مدينة الدمام، إذا مشى في طريق فإن الجميع يطرقون احتراماً لذاته، وكأن الملائكة تفرش له الطريق، ومع ذلك فإن التواضع هو عنوان كيانه.

يزيد، نشأ في عائلة متوسطة الدخل المادي وغنيّة جداً في الحياة المعنوية والاستقرار الأسري، هذا الغنى الذي يتمناه أغنياء العالم قبل فقرائهم، كان يقرأ يزيد في يومه علوماً مختلفة تأخذ حجم ثلاث ساعات رملية من نوع فرعوني، كان يؤمن بأن النهضة للمجتمع تأتي من خلال أفرادها وليست من الشعارات الرنانة ذات الطابع الناصري.

يشعر الإنسان بالتيه عندما يحب، ويزداد تيهاً عندما يعجز عن إيجاد فرصة للتعبير، كيف ستبدأ فتاة ساحرة الجمال في إيضاح حبها وعظمتها ليزيد؟! هل تتظاهر بالخوف ومدعاة الشفقة لتنال قربه؟! لم يعد في سماء تفكيرها سوى نجم واحد هو بالتأكيد.. يزيد.

تنام لتحلم به، تستيقظ لتراه، تضحك خداعاً لنفسها وكأنها معه، تبكي على فراقه، كل مظاهر الحياة غدت ذات معنى أصيل من عمق اسمه وصوته وصورته، أحبت عطره الذي استنشقت معه الحياة، هل تتحوّل إلى اليزيدية لتكسب شيئاً من معانيه؟!

يهون كل شيء.. كل شيء.. من أجل عيونه، في نفس الأثناء كان يزيد جاهلاً بما يجول في خاطر جواهر، كان يمارس حياته الطبيعية وكأن شيئاً لم يكن، تحب جواهر هذا الصنف من الشباب الذي يعيش بعفوية خالصة.

جاءت له في المعهد وقالت له : مرحباً يزيد.

يزيد: مرحبتين جواهر.. آمريني.

جواهر: ما يأمر عليك عدو.. عندي مشكلة مع الملحقة وبعض النماذج لازم أكملها وماني عارفة.. ممكن تساعدني فيها لو سمحت.

يزيد: أكيد ممكن.. أنا الحين بروح أجيب لي كوفي وأجي.. تبين أجيب لك شيء معي؟!

جواهر: (لم تتصور هذا اللطف سيأتي على جناح طائر).. أنا بعد ودي آخذ لي كوفي.. بجي معاك.

يزيد: حياك.. مشينا.

لقد كان وقع النسخة التجريبية من كتاب "رؤية زاوية" أسطورياً على مثقفي الدولة السعودية، لم تبرز شمس روعته من تعداد مشاكل الدولة وخطاباتها، بل كان الفريد هو مناقشة حلول إبداعية تواكب معطيات العصر وفق منظور الثقافة الدينية والاجتماعية، فنور هي قارئة للغرب لتفكر في وطنها ومجتمعها وفق أطر المعقولة، تواريخ القوانين وبنيتها تتلشى من خطابات الأكثر وجوداً في المجتمع، فكما يقول تشرشل: "المتشائم يرى صعوبات في كل فرصة، والمتفائل يرى فرصاً في كل صعوبة"، صاحبة الكتاب مؤمنة أشد الإيمان بأن المجتمع السعودي يحكي أفكاره وفق الأزمات التي لا تستمر طويلاً.

نعم سار كلاهما (يزيد وجواهر) إلى الكوفي القريب، أغلب الأحاديث الحميمة تأتي صدفة.. وفي الطرقات ذات الإنارة المحايدة، غالباً.. الذي يحب ابتداءً يسير ببطء ليستغل أطول فرصة بالبقاء، هكذا سارت جواهر معه، سألهما يزيد ليظمن على سائر أمورها في غربتها، فأجابته جواهر بأن أجمل شيء في أي بقعة غربة تأتي من وجود فتیان ووطنها، سردت جواهر له شيئاً من تاريخ نشأتها ودراساتها وملاذها.. وكل شيء لا يحتاج يزيد إلى سماعه.

إن المشاعر إذا طفت تأتي على هيئة كلمات مبعثرة في الترتيب الزمني، لا شيء يفصل بين الصمت والحديث سوى انقطاع النفس، فالحكمة لا وجود لها في حديث جواهر ليزيد، أخيراً وصلا إلى محل القهوة وطلب يزيد ما يحبّه وطلبت جواهر ما تحبّه بلياقة لغوية بارعة الإتقان، مضيا في طريق عودتهما ولم يبح لها يزيد بأي شيء يكسبها حلاًماً في ليلتها تلك.

رجعا إلى المعهد وياشر يزيد في مساعدتها في إكمال النماذج بحيوية وإخلاص، ولما انتهى طلبت منه جواهر رقم جواله لتستفسر منه عند وجود أي مشكلة أو عائق، فطلبت جواهر تأتي على هيئة أسئلة اضطرابية هي بحد ذاتها

أجوبة، حيرة كبرى تغشى الإنسان عند سماع سيمفونية جواهر الحديثية، سألتها بأدبٍ جمٍّ إذا كان يشتهي طبقاً معيناً من ذكريات الوطن؟!، فتيات المهجر غالباً يغرن الشباب بهذا الصنف من التودد، بالطبع تناست جواهر أنها لا تجيد طبخ الأكلات الشعبية ونحوها .. ففي غاية الحب.. ننسى ما نستطيع.

أخبرت جواهر أختها نور بما يكتنزه قلبها من حب، لم تصدق نور بما سمعته؛ لأنها مؤمنة بأن الحب في الوطن يسير بشكل عكسي، حيث الزواج ثم الحب، لا تقصد نور أبداً أن تواجه الدين بآرائها لأنها فتية بالإيمان لكنها ترى أن الحب وجد لينير حياة القلوب، لم يخف على نور أبداً حيرة العشاق وأحزانهم، لكنها تظل مؤيدة أن الحب إذا أتى من الطرفين فإنه أبقي وأجمل.

لم يظل كتاب "رؤية ذاوية" رهن انطلاق موافقة دار النشر لطباعته، فوزارة إعلام الوطن تبسط يدها في الليل وقت طباعة جرائد الغد ليتوب مسيء النهار، وتقبض يدها في النهار لنلا يتوب مسيء الليل، حينها توارد لذهن نور أن تضمن قصة حب في نهاية كتابها ليقطع طرفاً من الانعتاق ومفاتيح الثورة، لأن الكتاب يدمي الإنسان الحر من المستقبل المنوط بوقائع اليوم، لا مسكن للقراء سوى حكاية حب يكون بطلها يزيد.

ظلت تفكر جواهر في كون يزيد مرآة تعكس كل شيء بلا روح، كانت تظنه سيفرح جداً بحديثها المسترسل له، لم يحدث أي شيء يجعلها تتنبأ بنجاح فتنتها، لما أتى الصباح وتفتقت حناجر الطيور بهجة بالتردد، ذهبت جواهر إلى المعهد مبكراً عن العادة فوجدت يزيد هناك يتصفح أحد الكتب، بادرت به قولها: صباح الخير.

أجابها يزيد: صباح الورد نورة.. ما إن نطق بذلك حتى أحبت جواهر هذا الاسم لكونه أتى من فيه عفويًا.. سألتها جواهر: أيهما أجمل.. جواهر أم نورة؟

يزيد: (فهم يزيد بأن اسمها جواهر فاعتذر لها)، كلا الاسمين جميل.. فأنا لدي أختان بهذين الاسمين.. آآه كم أنا مشتاق إليهما.

جواهر: كم أخت لديك؟

يزيد: أربع.. اثنتان أكبر مني واثنتان أصغر مني.. وأنا الولد الوحيد.

أي فتى يعيش مع أخواته يكتسب مشاعر فياضة ومنطقاً ليّناً، هذه الصفات كانت ظاهرة على يزيد بما لا يدع مجالاً للشك.. كانت جواهر تستلهم أي طائر غرد لتحكي إليه وغاب عنها أن الذاكرة هي بالتعريف تشويش على الزمن كما يذكر د.العروي.

كان يزيد يعامل أي فتاة كإحدى أخواته، لا يتبادر إلى ذهنه أي شيء تحاسبه عليه أي هيئة، بل إن قلبه يشع نوراً أخلاقياً ليت مدرّسي أشبالنا يكونون مثله، لا انفصام بين الدين والخلق؛ فكلّهما يوتي عفة وطيبة، سمو أخلاق يزيد تعزّز معنى السمو ذاته وينثر أريج معانٍ شتى في صدقات الخليج العربي.

تحاول جواهر فتنته بحديثها فتتلاقى خيول أدبياته وتتطلق في مروج المعرفة والأخلاق، أتت كلماتها على هيئات مختلفة لهدف معيّن؛ فبارت وكأنها لم تفكر هي في هدفها، يقولون ولّى زمن يقول فيه الفتى كفى، إلا أن الواقع ينحت مجدداً على زفير انبعاثات تحكي قصة وجود لمعنى الأخلاق والقيم.

كانت جواهر تتحرّى معراج يزيد إلى قلبها، مرسلّة له بُراقها وكل وسيلة ليرقى إليها، كانت تظن أنه ينبغي له أن يهوى لكي يرقى لكن فتوتها تغفل جانب الأخطاء ليزداد الأمل، حاورته عن آمالها وبسطت لها خرائط مستقبلها ليغيّر بها ما يريد، فاجأها بقوله: أحلامي مشابهة لأحلامك بدقّة!!

يطير الحب في لحظة ويأتي في زمن حياة، هكذا بدأت نور تغزل قصة الحب التي ستوقظ مشاعر قراء "رؤية ذاوية"، كانت تتصل نور كل يوم بأختها جواهر لتتنقل لها صورة حيّة من الحب الحاضر المتمدّن.

أغلب الحكايات تأتي من طرف جواهر ولا شيء سوى المتوقع من قبل يزيد، لم تكن نشأة الحب طبيعياً خصوصاً أن يزيد لم يفتن بعد، أبدت نور مساعدتها لأختها جواهر عن طريق كتابة رسائل أدبية تهدي ليزيد.

في المآزق يتشبّث الإنسان بأي غصن يرقى به إلى هدفه، من أجل ذلك وافقت جواهر بشرط أن تنسى نور ما تكتبه وما تقرأه ليزيد؛ لأنها تغار عليه .. أول رسالة مُرّرت ليزيد عن طريق هاتف الجوال هي "بربك.. ألا تشعر بأنك أحد ملائكة السماء!!"

وصلت رسالة جواهر بهدوء إلى يزيد، قرأها مرة ومرتين ثم كتب "لا.. بل أنا إنسان أمر الله الملائكة أن تسجد لأبي"، تفاجأت جواهر ونور بجوابه الذكي وكأنه يقول لهما إنني متمكّن من عاطفتي، زاد إيمان جواهر بعشقها لهذا الفتى غير المنبهر بحضارات الفتنة، أسرت إلى أختها نور بأن تلتفت إلى مجلسها الثقافي وكتابها عن عشقها ليزيد، فهمت نور مقصد أختها وانصرفت تكتب قصة حبّ في كتابها، مواصلة بذلك الفكرة العامة للكتاب وهي استشراف المستقبل، ستبدأ مرحلة جديدة عاطفية في صفحات الكتاب تستلهم عظمة الدوافع الخفية للعاشقين، ثم سيطرت فكرة جديدة على نور وهي: أن تعيد كتابة الكتاب بنفس الأفكار السابقة بالضبط، لكن بقلب جديد على شكل رواية حبّ.. لا يكلف هذا الأمر الشيء الكثير لأن العبرة بأفكار الكتاب التي صقّ لها مثقفو الوطن الإسلاميون والليبراليون، وبقي أن يقرأ لها العامة لتستوعبه مخيلتهم بدقّة.

6/22 .. يوم لا ينسى ما بقيت جواهر على وجه الأرض، جاءت إلى المعهد بكامل زينتها فجاء نحوها شاب اسمه سعد، لا يريد سعد أي شيء سوى أن يتقرب منها لجمالها، وما يتبع ذلك من تصرفات مشينة، قال لها

سعد: "صباحك عسل يا عسل"، ما دام قلب الفتاة معلق بحب شاب، فمن المستحيل أن تقبل بطرف جديد ولو كانت تتمناه في السابق، وذلك لسبب بسيط جداً، أنها تعيش بلا قلب، كيف يكون ذلك؟! لا أعلم.. المهم أنه لا يوجد مكانان فعليان في قلب فتاة.

صار يتكلم سعد بطريقة استفزازية مقبلة إلى أن جاء صوت رجولي مفعم بالغيرة قائلاً: "سعد.. استح على وجهك ولا تكلم بناتنا كذا.. الله ما يرضى بهالشيء"، التفتت جواهر وسعد فإذا هو يزيد، كان انتصاراً هائلاً على بعض رواد تهدئة الحب في قلب جواهر، لم تصدق، بل لم تحلم بأن يكون يزيد نصيراً لها في موضع كهذا، مضى سعد متعزراً بسقطاته وأقبلت جواهر إلى يزيد وهي تبكي من الشكر، كانت تنتظر أي لحظة لتبكي بها أمامه ليرى بريق عينيها اللؤلؤتين، ومدى سرعة انسياب دمعها على بشرتها الملساء، أهداف جواهر لم تجد صدًى في كيان يزيد لأنه لا تتوارد إليه أفكار تسعده في لحظة حزن أحد أمامه، إلى الآن لم تفهم جواهر العملية الحسابية التي تسير عليها شخصية يزيد.

لملم يزيد ما تناثر من شظايا حب ليدرسه في شقته على مكث، كل دراسات الحب تأتي والإنسان مستلق على سرير بالكاد أن يستوعب عمق اللحظات، راح يرسم جواهر في أحلامه فلم تتسع لوحته وضاحت به ألوانه، منذ متى والإنسان يستطيع رسم فتاة يحبها ويداه لا ترتجف وعيناه لا تفيضان من الدمع، دوى الحب بهيئة مرعبة في قلب يزيد وكأنه صامت بحسرة الماضي.

عندما تأتي الإنسان إشارات حب فعلية استقبلها برشد لنلا تصرعه فجأة، يجدر بالإنسان أن يحتفي بكل شيء في صالات الانتظار العاطفي، وهذا ما كان مؤمناً به يزيد بلا نبي، كان يعتقد أن ثقافته تعصمه من دواهي الحب والعشق، تظاهر بما فيه إلى أن بدد الحب كل اتفاقيات حدود قلبه وألغى جميع عملات التداول وفواندها، وأعلن عن اللاشيء سوى الحب عاصمة وجمهورية وكوناً، فلق الصباح ويزيد غارق في أبجديات السياسة القادمة لحياته لكنه بكل تأكيد لم يصل إلى شيء، تجهز وتزين بزينة صارخة الجمال وانطلق إلى المعهد مصطحباً معه خريطة العالم بما يحمله من معضلات كبرى، هال جواهر منظر يزيد وخشيت أنه فتن بفتاة أحبت أن تراه اليوم، أسرعت مرتجفة إليه وهمست له: "أيش مناسبة هذه الكشخة؟! فأجابها: "سأقول لك لكن بشرط.. أن تقبلي هذه الخريطة"

كثيرة هي الأمور التي نستغريها حيال أمر ما لكن في وقت الحب كل شيء يأتي طوعية وبرغبة، قبلتها سريعاً فتلاشت جميع مشاكل الواقع، ففي الشفاء خير عظيم وشفاء لكل شيء.

"يقولون: نموت جميعاً ويحيا الوطن، وهل للوطن وجود إذا ذهبنا نحن؟! " هكذا ابتدأت نور حياة "أحاديث الشتاء" الجديدة، ما أجمل فصول السنة التي تبدأ من روعة وسطها المناخي، حيث يعلم الناس جميعهم بأن الفصل السابق

قد ولّى ودخل فصل جديد، لذلك فصول الرواية ينبغي أن تبدأ بحيوية وستر فاضح للمكتنف من القصص، جمعت نور فلول عزائمها وفكرها وأدبيّاتها لمواصلة كتابة روايتها الجديدة، وأخفت على زملائها وزميلاتها سبب اختفائها حتى شاع بينهم أن ثمة شيئاً جديداً.

عادة الكتّاب أنهم لا يجيدون الصمت أو التخفي، وأكبر دليل على ذلك أن الكاتب محمد الرطيان بزغت شمسهُ مكرراً في جريدة المدينة، أتذكرون ما حدّثتكم عنه بشأن برج المملكة، هو بالضبط كمثلث برمودا، حيث يختفي الإنسان وقد يولد إنسان آخر يشبه المختفي حدّ التمام، لا عليكم .. نور اختفت مدّة شهرين بحجّة أنها مسافرة إلى مكّة ودبيّ وكأنها تقول إنني في مدّن من لا وطن له، أغلب روايتها تدور حول فتى اسمه "حسن" تحوّل تدريجياً كهبوط/ارتفاع الأسهم إلى "متعب"، الله وحده يعلم لماذا غير المجتمع اسمه لكنّ أغلب الشكوك تفيد بأنه يقدّم اقتراحات إلى الوزارات الخدمية حتّى لقبّوه بهذا الاسم!!

يزداد صمت يزيد كلما تهيج نفسه لقول شيء، عادت جواهر إلى قصرها الشقة، ونسيت أن تسأل يزيد عن سبب طلبه لتقبيل الخريطة، لماذا يضيع العاشق فترة لا تسدّ ريقه بأي شيء، خصوصاً أن الوقت ينتظره، تزيّنت بكل ما آتاها الله من مكياج لتفكر بيزيد، لا يليق بأحد العاشقين أن يفكر بالآخر ما لم يتزيّن له في تذكّره، بيد أن العمل والدراسة قد يحولان بين ذلك أحياناً، أرسلت جواهر إلى يزيد برسالة جوال ما قاله نزار:

"كلماتنا في الحب تقتل حينا ... إنّ الحروف تموت حين تقال"

لا يحبّ يزيد أن يردّ إلا بشكل استثنائي ومبهر؛ فكتب لها مباشرة ما كتبه سوزان عليوان:

"أهي الوجوه كلّها تشبهه؟"

أم أنّها لفرط الولع

في كلّ وجه عابرٍ .. تراه؟"

شعرا بأنهما ولجا باب الحب بعد الاستئذان ثلاثاً، لم يعد في وسعهما إلا بداية البوح وسنّ الأقلام لتبادل الرسائل المكتوبة، كلّ الهوايات والفنون تأتي على جناح طائر فقد أهدّ جناحيه في حب سابق، في بدايات المراحل الجديدة يكتشف الإنسان ضلعاً جديداً في جسده، أسرت جواهر له بأنّها تودّ مقابلته في أحد المقاهي البعيدة عن المعهد لأنها لا تحب الضوضاء المعلوماتية التي تغشى الكثير من شباب وطنها، موعدهم غداً عند الساعة الخامسة عصراً سيكون نقطة مفصليّة إذا أحسن التعامل معها، اختير الموعد ليكون بعد المعهد بساعتين تقريباً، إلا أنّ كليهما غابا عن المعهد انتظاراً للموعد المنتظر، هذا الموعد الذي أيقظ أموراً كثيرة كانت في فترة سبات أو عدم وجود، ساعات

الانتظار لها طعم خاص في حياة الكتّاب واللصوص والسياسيين، جميعهم يقفون على صعيد التنبؤ والسيناريوهات المفتوحة، كان يزيد كما يبدو سياسياً وكانت جواهر كما لا يبدو أنها لصّة !!

عقب شهرين أتى بريد إلكتروني للعديد من زميلات نور بعنوان "أحاديث الشتاء". كانت أول قارئة هي الدكتورة مها المتخصصة في التاريخ السعودي، كانت مها من أشدّ المعجبات لكتاب نور "رؤية زاوية" لدرجة أنها تكفلت بطبع 500 نسخة حال صدور الكتاب، أما الدكتور سامي بحكم علاقاته الفذة مع الجرائد السعودية وعمله في قسم الأدب العربي في أحد الجامعات السعودية فقد وعدّ نور بأن تكتب نصف صفحة كاملة في أوقات مختلفة على الصحف المحلية، يتحدثون جميعهم عن الكتاب وأهميته، وغيرهم كثيرون/ات ممن أبدوا دعمهم اللوجستي لتوزيعه على أكبر شريحة ممكنة، كل هذا والجميع تفاجأ من تغيير عنوان الكتاب وطريقة الكتابة، جاء ردّ مها على صورة عملة سابقة لتوحي لها بقيمة هذا النص:

"الأستاذة نور حفظها الله .. لم أعتقد يوماً أنك باحثة عن الفتنة والمعصية، كتابك السابق مليء بالحكم والعطاء المعرفي، لماذا أعرضت عن إصداره وكتبت كتاباً آخر مخالفاً لأفكاره بل ربما ضدها.. إن المجتمع السعودي لا يحب أمثال هذه العبارات التي لا يستفيد منها المرء ولا الجماد، حزنّت جداً لأنك تتركين سبيل الإصلاح إلى الفساد، سامحك الله ..".

أما الدكتور سامي فقد كتب:

"إلى السيدة نور المحترمة.. السلام عليكم ..

يبدو أنك تريد دخول سجال طويل يزداد اتساعاً عند موتك خصوصاً، سأتكلم الآن بصفتين: الأولى بكوني إنساناً أديباً، والأخرى بكوني جماداً إعلامياً..

إن روايتك "أحاديث الشتاء" تعدّ من أجمل الروايات السعودية التي قرأتها على الإطلاق، أفكارها مستقيمة مع الدين وكلماتها مختارة بعناية فائقة، وتسلسل الأحداث يأتي منسجماً مع هطول نيازك المفاجآت واستشراف المستقبل المليء بالغموض، ألغيت جميع محاضراتي يومها وبدأت أقرأ ثم أعود ثم أكتب ثم أعود ثم أفكر ثم أعود، ولم أشعر إلا وأنا في غياهب فكر عميق جداً.

يا أستاذتي العزيزة.. لم يسبق لي أن حلمت يوماً بأن وطني يحتوي على أناس على قدر ثقافتك وتنوعك المعرفي، لو عاد بي الزمن قليلاً لما قبلت شهادة الدكتوراه حتى تنالها فخرياً من جامعتي ولا غير ذلك مرضي عنه، لك شكري بحجم سماء الجمال التي تتريعين على عرشها، أما كتابتي لك بصفتي الأخرى فإنني أدعوك أن تعرضي عن هذا الهراء الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، هل يعقل أن يكتب صحفي عن كتاب سوف يمنع حتماً من وزارة الإعلام؟!

ربما جريدة إيلاف هي ملاذك الوحيد وربما يستعصي كذلك، لتعلمي يا صغيرتي أن الحق كان يحيننا، أما الآن فهو يهددنا، بل ربما يقتلنا!!

عند الساعة 4:45 تواجدت جواهر في المقهى الذي نال شهادة الأيزو بهذا الموعد الغرامي، أتت جواهر وهي تجرّ معها كل خيلائها وسعادتها وبريقها، كل مجلات الفتاة العصرية بدت متجسدة في الفتاة جواهر، هذه المرة طغت الفتنة حتى شملت فتیان أمريكا وهذا شيء لا يتأتى لكثيرات، تأخر يزيد قليلاً وهذه عادة بعض الشباب ليرسل رسالة مفادها أنني لست متبتلاً بابك يا حبيبتي، وفي المقابل كل الفتيات يعلمن هذا القصد ويؤمنن بأنها كذبة مغلفة بالكبر، أتى يزيد في موكب مهيب من الأحاسيس والمشاعر والأناقة، لدرجة أنه لم يفتن أي فتاة أمريكية تحب البساطة في الأمور، للمرة الأولى سلماً على بعض بطريقة احتوائية محبة للنفوس، جلسا بصمت لمدة دقيقتين لم يجدر بأحدهما أن يتكلم احتراماً للحظة تاريخية عظيمة، بادرت جواهر على استحياء: "يزيد.. أحبك!!" بادلها يزيد بكلمتين تعني أنه يحمل ذات الشعور لكن بكلمات متقاطعة، لم يعتد يزيد أن يتكلم بعفوية في مثل هذه المجالس التي تعتبر محرمة في الوطن، استأذنها ليطلب لها قهوة وفي حقيقته يبحث عن وقت مستقطع ليجمع أوراقه ويصعد لأثير حديثها، عاد سريعاً قائلاً: "طلبت لك قهوة موكا كوفي.. أتحببته!!" أجابته جواهر: "نعم أحبه جداً.. بل لا أشرب قهوة غيرها، يزيد شفيك مرتبك.. تراني أنتظر هذه الساعة من أول يوم بالمعهد، أنا مشتاقة لك مرة.. ومعجبة بشخصيتك وعلمك ودراستك، يا ليت كل شبابنا مثلك.."

أجابها يزيد: "مشكورة.. وأنت بعد شاطرة وذكية"، تسقطت كلمة "جميلة" من فيه، لكنه لم يقلها، تبادلوا الأحاديث الودية بشأن المعهد والعائلة، إلى أن صرحت له جواهر بأن غايتها أن يتقدم يزيد لخطبتها.

في اتصال عابر لبیت نور اتصلت إحداهن: "السلام عليكم .. ممكن أكلّم أم نور"، وفعلاً تم تحويل المكالمة إلى أم نور: "السلام عليكم.. مين معي؟ المتصلة: "معك أم نواف (...). كيف حالك أم نور.. عساك طيبة". "أهلين أم نواف.. استأنست مرة بسماع صوتك.. الحمد لله.. كلنا بخير ونعمة.. أنت شلونك والعيال؟"

أم نواف: "والله كلنا بخير ونعمة من رب العالمين.. الله لا يغير علينا.. صحة وأمن وكل شيء تمام.."

أم نور: "من زمان ما شفناكم.. العادة نشوفكم، لكن الأيام الماضية فقدتكم مرة!!"

أم نواف: "والله يا أم نور عندي موضوع وودي أكلّمك عنه.. ممكن أزورك بكرة الضحى؟"

أم نور: "بخصوص إيش يا أم نواف؟"

أم نواف: "لا تخافي.. ترى ما عندي شيء يخوف.. بالعكس شيء يونس مرة".

أم نور: "حياك الله بكرة.. البيت بيتك.. أجل أنا بكرة منتظرتك على الساعة 10، ممتاز الوقت؟"

أم نواف: "جداً ممتاز.. أجل بكرة أزورك إن شاء الله، مشكورة أم نور وما قصرت.. نشوفك بكرة.. تأمريني بشيء؟"

أم نور: "سلامتك وطولة عمرك.."

أم نواف: "أجل مع السلامة.."

أم نور: "مع السلامة.."

تساءلت أم نور مع نفسها عن شأن هذه الزيارة، إنه نفس الناموس الذي يأتي لخطبة أي فتاة، بالإضافة إلى أن أم نواف لا تتصل عندما تريد أن تأتي إلا لشيء مهم جداً، إن المكالمات بعد ذاتها ترفع تباشير الفرح والحبور، ف.. نور فتاة تنتظر نصيبها الذي تأخر قليلاً، وكعادة الأمهات في كتم الأسرار انطلقت وأخبرت نور عن زيارة الغد وأنها لا بد أن تتجمل لتحظى بفارس أحلامها، عادة الفتيات في تلك اللحظة أن يتثاقلن وكأن هناك ألف طارق على باب خطبتهن، إلا أن الأبواق في قلوبهن تكاد ترقص جذلاً، في تلك الليلة نامت نور على يقظتها وطفقت تتأمل نفسها بالمرآة وتقول: "أين أنت يا غريب.. لقد تأخرت كثيراً، ألا تسرع فأنا في انتظارك من شهور".

مرت اللحظات سريعاً حتى دلفت أم نواف إلى البيت، فاستقبلتها أم نور بحفاوة ذات طابع احتفالي، تناقشا قليلاً عن شؤون الأسرة وأوضاع العالم الدولي وسياسات الدول، كعادة الأمهات، يتحدثن بالشؤون السياسية وكان مجلس الأمم المتحدة يسمع لهن، أو يتحدثن عن الجيران بصيغة ليس فيها أي غيبة، أجمل ما في حديث الضحى أنه يثري جلسة الغداء الأسرية بالحديث عن كل شيء!!، قليلاً ودخلت نور بكبرياء جمالها وثقافتها وهدوئها مقدمة لأم نواف وأمها حق الضيافة، ذهلت أم نور من ابنتها في كيفية التزيّن، يحبين الأمهات أن يرين بناتهن بهيئة جمالية خلقة.

تفاجأ يزيد من سرعة جواهر في تقرير مصيرها، إنها لم تعرفه حق المعرفة، بل لا تعرف عنه سوى أمور بسيطة، هكذا الفتيات والفتيان يسرعون إذا تسللت روح الحب إلى قلوبهم، حاول يزيد أن يتسرب قليلاً باتجاه موضوع آخر بشؤون الدراسة والاهتمامات، سألها يزيد بماذا تقضي أوقات فراغها؟ لا يوجد قالب تجيب به إلا أنها تقرأ وتخرج للتسوق، سألته وبماذا تقضي وقت فراغك؟ توجد أجوبة عديدة عند الشباب ومن بينها لعب كرة القدم والتزّه مع الأصحاب، أحياناً تخرج جواهر مع وصيفاتها بشكل قليل لأنهن من مشارب مختلفة وكل واحدة معلق قلبها بحب شاب.

إذا أضحت الأجساد مفرغة من القلوب يكون حديث المجلس عبارة عن صمت، جلسا ما يقارب الساعة فتعرّف كل واحد عن الآخر عن آخر أربعين سنة، عشرون سنة من عمرهما مضافة إلى حياة والديهما، بل ربما آخر خمسين سنة لمعرفة الأجداد كذلك.

"هذه المنجزات الهائلة التي ستسميها أجيال البشرية بعجائب الدنيا، هل لا بد لها من مثل ذلك الظلم وتلك القسوة لتحقيقها؟! ... جبرا إبراهيم جبرا" هذه إحدى العبارات التي وردت في كتاب نور "أحاديث الشتاء"، المجتمع الثقافي

تداول روايتها عبر الإيميلات بصورة غير شرعية لإيقاف من تسوّل له نفسه بالإعجاب، تشنّج يغطّي الساحة الأدبية المحلية وردود تفتقد النباهة العلمية والبحث المنطقي والنزاهة كذلك، فوضى وشتات لأن الساحة لم يكن فيها ما يثيرها أصلاً، وفي المقابل تجلس نور أمام أم نواف بهدوء معرفي، بعد الأحاديث الطويلة قالت أم نواف: "صراحة يا أم نور.. أنا جيت أخطب بنتك جواهر لولدي نواف.. أنا شايقة جواهر بعريس من قبل وسألت عنها والكلّ مدحها لي"... آآآه... لحظة حزن حقيقية انتشرت في هواء الغرفة، استغربت أم نواف من قسّات من أمامها، خصوصاً أن الأمر يفترض أن يكون مفرحاً جداً، خرجت نور بخفة تحمل معها أعباء الحزن والأحلام المبدّدة، تداركت أم نور ونفخت في هواء الغرفة عطر الابتسامة التي تخفي ألماً، قالت أم نور: "يشرفنا يا أم نواف أنكم تأخذون منا.. لكن.. لكن بنتنا نور هي أكبر؛ فحنّا ودنا نزوّجها أول، وجواهر بعدها تدرس وإن شاء الله يجيها نصيبها"..

قالت أم نواف: "طيب هذا هو.. جاها نصيبها الحين.. وليش لازم تزوجون الكبيرة أول، الله كاتب لكل واحدة نصيب، وما فيها أي شيء يا أم نور، ليش تنظلم الصغيرة، يا أم نور.. ترى والله ما فيها شيء أبد أن البنت الصغيرة تتزوّج قبل الكبيرة، بالعكس، المفروض نور تستأنس وتساعد أختها وكلّ واحدة لها وقتها ونصيبها"..

ردّت أم نور: "خير إن شاء الله.. خلّينا نفكر وما راح يكتب الله إلا الخير، بس والله ودي أن بنيتي نور تتزوج لأنها كاسرة خاطري مرّة"..

أم نواف: "والله يا أم نور إني أحب نور مثل ما أحب جواهر، ولولدي نواف بيبي واحدة ما هي مثقفة تردّ عليه وخبرك.. المثققات ببيلهم واحد مثلهم يتناقش ويّاها ومن هالسوالف، حنّا يا أم نور شارين بنتكم وراح نستأنس مرّة إذا وافقتوا، أنت استخيري وشاوري البنات وردّي عليّ، يلاً أنا استأذن الحين.. اسمحي لي لأن السواق لازم يروح يجيب العيال بعد شوي من المدارس، أنا أنتظر اتصالك"..

أم نور: "تورتينا يا أم نواف وإن شاء الله ما يصير إلا الخير"..

"يلا مع السلامة"..

"مع السلامة.. حافظك الله".

أم نور: "بنيتي نور.. نور.. وينك حبيبة قلبي؟!!

تعالى يا بنيتي تعالي.. سمعت اللي صار.. وترى الله سبحانه كاتب لكل واحدة نصيب، ومرات الواحد يصبر لين ما يجي له رزق ما يتخيّل، أنت الحين بكيفك، إذا قلت ننتظر لين ما تتزوجين وبعدين نزوّج جواهر، وإلا أنك توافقين لأختك جواهر، فكّري يا بعد قلبي وردّي عليّ، وأنا ما راح أكلّم جواهر إلا إذا سمعت شكرك"..

تفرقا جواهر ويزيد عن بعضهما؛ لأن موعد الليل قد أرف، نالا حظاً من الحب كفيلاً بأن يحييهما سنة إن غاصا في أعماق بحر، انطلق كل منهما إلى بيته ليكمل اللقاء من خلال التحليل وإعادة رؤية الصور الجمالية.

عندما ترى شيئاً جميلاً لمدة محدودة لا يسعفك الوقت أن ترى كل شيء.. لكنك في نفس الوقت تحفظ كل شيء، هذا ما حدث عندما دخل كل منهما إلى منزله، وقفا عند الباب وسبحا في الأفق.

لم يدرك يزيد حجم المجازفة التي حدثت، وفي نفس الوقت شعر بالانتصار لأنه رأى زهرة الحياة الدنيا، أمسك جواله وأرسل لجواهر: "أين أنت الآن يا حبيبتي، صديقي.. أنا معك الآن روحياً، أقف الآن وكأنني أنتظر حفلة قدومك، ورب السماء إنني لأعلم بأنك مثلي في هذه الساعة.. لكنني لا أعلم ما يكتنزه قلبك من مفاجآت مدهشة، إنك واحدة لكنني ألف من العيون والأذهان كل يبحث عنك ليعود إليك، اكتشفت اليوم بأنني منسي حتى أعلن عن وجودي"، لم تفاجأ جواهر برسائلته لأنها في الأصل تبحث عن شيء في الإنترنت لتكتبه له.. إلى أن وجدت رسالة كتبتها أحلام مستغانمي: "أولئك الجميلون الذين يسكنون أحلامنا النسائية.. الذين يأتون ليقبوا، ويطمئنوا، ويمتعوا، ويذودوا، ليحموا ويحنوا ويسندوا، الذين ينسحبون ليعودوا، ولا يتركون خلفهم عند الغياب كوابيس ولا جراحاً ولا ضغينة، فقط الحنين الهادر لحضورهم الأسر، ووعداً غير معن بعودتهم لإغرائنا كما المرة الأولى"، عندما وصلت رسالتها بقيا يفكران إلى أن أشرقت الشمس من الشمال.

لأن نور عاقلة، وافقت بسرعة على خطبة نواف لجواهر، بل أبدت فرحها وبهجتها، كل شيء في البيت بجماداته فرح لهذه الخطبة، أول مناسبة لأي شيء لها بريق خاص وملمس حريري فائق الروعة، أسرع أم نور واتصلت بجواهر في أمريكا، لم ترد في المرة الأولى لأنها نائمة بأحلام يزيد، اتصلت أمها مرة أخرى فلم ترد جواهر كذلك لأن يزيد نائم بأحلام جواهر، اتصلت أمها للمرة الثالثة فاستيقظت جواهر وفي الحقيقة أنها كانت واعية لكن وجدانها حالم بيزيد.

أم نور: "أهلين جواهر.. شلونك يا بنيتي.. شلون الدراسة وأمريكا؟"

جواهر: "كل الأمور تمام يمه، شكلك فرحانة مرة، أكيد في بشارة مرة حلوة، بشريني يمة بشريني!!"

أم نور: "يا ميمتي.. جت وحدة وخطبتك لولدها.. هلهلهلهل.."

جواهر لم تتصور ما سمعته، إنها الآن في الطابق الأول من حب يزيد، بل لا يعقل أن يأتي أحد ليسكن قلبها غيره، مدينة كاملة بأسواقها وجوامعها اتخذت قلب جواهر مكاناً لها سميت بيزيد، صمتت طويلاً حتى جاء صدى أمها متأخراً جبال نصبته جواهر أمام مسمعها وأودية للتدزع بعدم السماع، استغربت أمها من هذا السكوت المطبق وأرجعته إلى الحياء الذي يطغى على أي فتاة مخطوبة..

قالت جواهر: "بس يمّه أنا في واحد أحبه وأنا أبي أتزوجه وهو بيبي يتزوّجني!!"، في هذه الأثناء نفسها، شعر يزيد بألم مما اقترفه بلفائه بجواهر، صرخ من كيانه صوت.. الله ووالداك وأخواتك ومجتمعك لا يرضى ما فعلته.. هذه الأرواح التي نالت تربيتها من معين صاف زلال تحت ظلال الأخلاق والقيم المبهرة، إنها أبنية من ذهب وفضّة تستمدّ صفاءها من منهج إنساني راق جداً بالمعنى العميق للكلمة.

يزيد نشأ على طاعة الله مكتسباً كلّ حسنٍ ولطف وإنسانيّة وصدق ومودة من دينه العظيم، يزيد ليس رجلاً أسطورياً بقدر ما هو شاب صادق مع نفسه ومع المجتمع، كثيرون هم الشباب الذين يبدو عليهم الصلاح لكن أي فتنة تعبر أمامهم ربما يوقفوها ليسيروا معها، يا لحسرة مجتمع بات يتذرّع بالدين لنقض غرى الإنسانية والمحبة، فيزيد معنى أكثر منه اسماً، وحقيقة ليس ظلاً.

عادت أم جواهر لتسألها وهي تبكي عن هذا الحب الذي تخشى أيّ أم أن يتطوّر، أغلقت جواهر الهاتف وتوجّهت إلى المعهد لتبكي ليزيد وتعرض عليه سرعة التقدم لها، حثّت الخطى فوجدت يزيد في انتظارها عند باب المعهد، الغياب صار أساساً والحضور أصبح هو الغريب، توجّهها إلى أقرب كوفي ويزيد ليس مبتسماً كعادته وجواهر حزينة جداً، كلّاً منهما يريد أن يفضي للآخر أموراً معاكسة؛ فجواهر تريد المضي ويزيد يريد التوقف، بل العودة إلى مكانه لأن ألم العتاب الداخلي مؤلم جداً.

قالت له جواهر: "يزيد.. تكفى.. أبيك تتقدم لي لأن في واحد جاء لبيتنا وخطبني أمس"، كانت تظن بأنها ستجد إجابة من القسم الطيني منه، إلا أنه فاجأها بإجابة شطره الروحيّ العفيف: "جواهر.. أنا جيت أقولك شيء وبمشي، ترى أنا ما أحب أكلم بنت وأهلها ما يدرون، وتبين الصراحة .. أنا أخواتي خاطبين لي واحدة من بنات خالي من زمان، لكنّي ما أحب خالي، علشان كذا كان فيه مكان لقلبي لأن أدور واحدة ثانية، لكني اقتنعت بأن أمي وأخواتي أكيد مختارين لي واحدة تصلح لي ولهم، وترى الزواج حياة وما هي بس لحظة، فأنا آسف وأرجو أنك تبقيني كزميل، اعزبرني أنا بمشي الحين.. والله يوفقك ويسهل أمرك.. سلام.."

مضى يزيد وترك جواهر في عزلة مشاعرية يرثى لها، تبخّر أمامها يزيد وتلاشى، أيعقل أن يتركها هكذا وهو هو وهي هي، بكت طويلاً حتى حنّ عليها من جاورها في الكوفي، جاءت من جانبها امرأة كبيرة أمريكية وصارت تصبرها وتقول لها: لقد تركني حبيبي أنا كذلك، وكنت أجمل من في البلدة، صاحبي يا ابنتي من ستنزويجيه وتعيشين معه حياة سعيدة، لا عليك؛ فأنت الآن شابة جميلة جداً، أغلب الفتيات يكملن نواقص جمالهنّ بالرقص والتودّد، أما أنت فجمالك ووداعتك لهما منظر جميل، سيوفقك الرّب وستذكريني!!

اتصلت جواهر بأمرها فردّت عليها باكية وفي عصبية بالغة، سألتها جواهر عن المتقدم لها فإذا هي تعرف عنه قليلاً، وأخبرت والدتها كذلك بأنها كانت تحب شاباً لكنها عدلت عن الفكرة؛ لأنها اكتشفت بأنه لا يريد سوى مصاهرتهم بسبب المال والشهرة، وأردفت بأن الحبّ المزيف سرعان ما يُكتشف، أم نور من طبعها أنها تسامح بسرعة، ولا تحبّ

الدخول في شأن باد، وقبل أن تتصل جواهر بأمرها فلقد اتصلت بأختها نور وأخبرتها عن القصة الحقيقية كلها ليتفقا على مخرج يسهل لها عبور الرضا، أرسلت الصور إلى نواف وإلى جواهر، فتن بعضهما بالآخر بدرجة متوسطة، لكن كما يقال الزواج رحلة طويلة تحتاج إلى روح طيبة صافية، تم الاتفاق على أن تعود جواهر بعد شهر وتتم مراسم الخطبة وما يتبعها من جاهلية البذخ.

خلال أيام قليلة سافر يزيد إلى الوطن عقب أن استأذن لظروف عائلية، ونجحت جواهر في دراستها نجاحاً باهراً لترسل إشارة إلى يزيد عندما يعود بأن حبها له كان شيئاً استثنائياً، عادت بعد ذلك ومضت الشهور ولم تعد جواهر إلى أمريكا لارتباطها بزوجها، ولم يعد يزيد كذلك لارتباطه بزوجه ولأن والده تعب صحياً؛ مما يحتم عليه القيام بشؤون البيت.

مضت الشهور إلى ساعة تسرب الألم إلى جسد يزيد، بكت سارة (زوجه) بجانبه ظانّة أنها تهديه دواء يشفيه، فإن لم يكن فهو مسكّن، في الحالات المنطقية لا يبدو كثير من هذه الأمور فعلاً لعدة أسباب، من أهمها أن سنّ العقل هو المؤلم، كيف يكون للمشاعر دور وحكيم الجسم في حالة مرضية حرجة؟!

لا يجدّ يزيدُ بدأً من الانطلاق إلى أقرب مستشفى ليعالج ما ألمّ به، بالطبع ذهبت معه زوجته سارة إلى مستشفى سعد بالخبر؛ لأن التأمين يشمل علاجه هناك، دخل إلى بهو المستشفى الذي يشبه إلى حدّ كبير قصر برمنجهام مع زيادة بسيطة عليه، وقفا بجانب رجل ومعه زوجته كما يبدو، وكما هو معلوم أن القصور تفيض بالمستقبلين والعاملين؛ لذا خُدم يزيد وفي نفس الوقت خُدمت العائلة الأخرى، سأل موظف الاستقبال عن اسم المريض فأجابه: "يزيد.."، وفي نفس الوقت سمع صوت الفتاة التي تقف مع زوجها وهي تقول: "جواهر.."، إنه نفس الصوت الذي أيقظ حياته للحب، لم تصدّق جواهر أيضاً هذا الاسم الذي أبكاها في الهوى، آآآآه... كانت لحظة عصبية مليئة بالدهشة والحب والسعادة والشوق والأنس، بكيا كلاهما في نفس اللحظة تحت تعجب من سارة ونواف، أجهشا بالبكاء وكلاهما يسأل الآخر عن أحواله وما كانت تكنّ له الدنيا، لم يصدق نواف وسارة ما يحدث، قطعة رسم سريالية ترسم أمام هذين الطرفين الغربيين وكأنهما دخلا على حياة هذين العاشقين، يا لوفائهما!! اجتمعا في ربوة ذات بهجة في أمريكا، والآن يجتمعان ليصبر أحدهما الآخر وينقشان حكاية بقاء سرمدية تظلّ عالقة في أفكار الأطراف الجديدة في حياتهما، هذه جواهر التي حاولت أن تغوي بأنافتها وجمالها قيم وعادات مجتمع أصيل تجسّد في شخصية يزيد، بعدما رسم لها حروفاً تقرأ اليوم بماء الذهب وهي "العقة"، لم يكن يزيد رجلاً استثنائياً.. وليس ذلك الحال أيضاً مع جواهر، إلا أنّ الغريب ما حدث في "جرح الكبرياء".

كتبها: إبراهيم اليحيى ib.alyahya@gmail.com